بسم الله الرحمن الرحيم

شهادات اختبار العقيـــدة "Libelli"

بقلم / سهير زكى بسيونـــى

من بين التشريعات والقرارات التى صدرت خلال العصر الامبراطـــورى فى رومـا ، كان القرار الهام الذى أصدره الامبراطور دقيوس بعد توليه عـــرش الامبراطورية ورغم فقدان نص القرار، الا أنه من خلال النصوص الادبيـــة والوثائق البردية المعاصرة امكن معرفة موضوعه. لقد امر دقيوس ان يقـــدم سكان الامبراطورية التضحيات للالهة الوثنية ، على أن يحصل كل من أدى هـذه التضحيات على شهادة λιβελλος (١) تثبت أنه أدى المطلوب (٢) ، ومـن لم يحصل على هذه الشهادة فهو عرضة للعقاب حتى الموت .

ولكن ما الذى دفع دقيوس الى اصدار هذا القرار؟

لقد أخبرنا المؤرخ المعروف يوسبيوس (٣) وهو المصدر الأدبى الاساسى الـــذى اعتمدت عليه فى البحث ، ان فيليبوس حكم الامبراطورية سبع سنوات وان دقيـوس تولى الحكم بعد وفاته ، بسبب عداوته لفيليبوس قام بحملة اضطهاد ضد الكنيسة.

ὁς δὴ τοῦ πρὸς φιλιππον ἐχθους ἕνεκα διωγμόν κατὰ τῶν ἐκκλησιῶν ἐγειρει (٤)

---

(١) عن كلمة Libellus واستخداماتها المختلفة انظر .

Oxford Classical Dictionary S.V. libellus; Taubenschlag, The law of Greco Roman Egypt P. 385, 410; J.A.Crook, Law and life of Rome. 1984, P. 21, 276-77.

(2) Cf. I. Bell, Cults and Creeds in Graeco Roiman Egypt. Liverpool, 1953, P. 85 J.R. Knipfing, The libelli of the Decian Persecution (Harvard Theological Review 16) P. 345.

(٣) عن فيليبوس انظر :

M. Rostovtzeff, The Social and Economic History of the Roman Empire 2nd ed. Oxford, 1957. P.459.

(4) Eusebius, H.E. VI. 39.

فالمعروف ان فيليبوس كان يميل الى المسيحيين ، بل لعله كان يدين بالمسيحية ايضا (١) ، ولذلك اضطهد دقيوس المسيحيين انتقاما من فيليبوس . ولكن يرجع بعض المؤرخين الحديثين السبب في هذا القرار الى أن المسيحيين كانوا قد بدأوا يظهرون كقوة يخشى بأسها (٢) . فالاباطرة الرومان اتبعوا منذ بداية حكمهم سياسة التسامح الديني وحرية العبادات في الولايات التي فتحوها ، ولم يتدخلوا في المعتقدات الدينية للسكان الا من أجل اسباب سياسية او من أجل (٣) اسباب تتعلق بعادات حرص الدولة على اتباعها . وعلى ذلك فانهم عندما اضطهدوا المسيحيين فانما كان ذلك لرغبتهم في ان يشاركوا في العبادات المعترف بها بواسطة الدولة وان يقدموا اليها التضحيات . اما ما اختاروه لمعتقداتهم فهذا أمر (٤) يخصهم وحدهم .

ولعل المسيحيين اذا احتفظوا بعبادتهم لانفسهم ، ولم يعرضوا معتقداتهم على الملأ ورفضهم المشاركة في الاعمال الجماعية للعبادات الوثنية ، لظلت السلطة راضية تماما لغض الطرف عن عباداتهم . وربما يظهر ذلك واضحا في كلمات الامبراطور تراجانوس . فهو يحدث احد الحكام قائلا : اذا وقف المسيحيون امامك ، فافعل

---

(١) F.S. Salisburg and H. Mattingly, the reign of Trajan Decius, (JRS. 14, 1924) P. 8.

(٢) M. Grant, History of Rome, London 1978, P. 307

(٣) مصطفى العبادى ، مصر من الاسكندر الاكبر الى الفتح العربى ، ص١٩٧ .

(٤) Bell, Op.Cit. P. 82.

(٤) يمكننا ان نضرب مثلا هنا باليهود ، فاليهود حظوا بكل الاهتمام من الاباطرة الرومان الذين منحوهم مطلق الحرية في العبادة ، ولكن عندما رفض اليهود وضع تماثيل الامبراطور كاليجولا في معابدهم كما اعتاد ان يفعل الوثنيون ، وقاموا بتحطيم احد المعابد التي أقامها اليونانيون للامبراطور ، ثار كاليجولا ثورة كبيرة عليهم وجردهم من امتيازاتهم التي منحها لهم الاباطرة السابقون . عن هذه الاحداث : انظر : عبد اللطيف على ، مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الاوراق البردية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٩٩—١٠١ .

مافي وسعك للتوصل الى اتفاق معهم، فاذا استمروا رافضين للتضحيات فليأخذ القانون مجراه، ولكن لا تجعلهم شغلك الشاغل (١)، ويبدو من ذلك الحديث ان الحكام كان عليهم تحاشي الصدام مع المسيحيين.

وليس صحيحا ان اضطهاد المسحيين قد حدث فجأة على يدى الامبراطور دقيوس ولكن هناك بعض الكتابات تبين ان المسيحيين كان يضحى بهم ويقدمون للاسود تحت اعذار واهية. ولنتتبع ماكتبه ترتوليانوس لنوضح ذلك.

يقول : اذا فاض التيبر حتى الجدران، واذا عجز النيل عن الوصول الى الحقول اذا ضنت السماء بامطارها، اذا حدثت الزلازل، اذا حدثت المجاعة، اذا انتشر الوباء، تتعالى الصيحات في الحال (٢) : فليلقى بالمسيحيين الى الاسود.

وفي بداية القرن الثالث، وبعد أن تغلغلت المسيحية في انحاء مصر أمر سبتميوس سفيروس بعمل حملة ضدها، وكانت الحملة عنيفة وخاصة في الاسكندرية وقد تعرض المسيحيون من انحاء مصر للمحاكمة والاعدام (٣). وقد اضطر كلمنت الاسكندرى للفرار من المدينة بسبب هذه الاضطهادات. وفي ٢٣٥ قام ماكسمنيوس الأول بنفى بعض الاساقفة من روما الى سردينيا ونظم بعض القوانين الصارمة ضد المسيحية وخاصة ضد رجال الدين القائمين عليها (٤).

وعندما تولى دقيوس عرش الامبراطورية الرومانية عين فاليريانوس ليشد من ازره في ادارة الامبراطورية، وقد حث كل منهما الاخر على اضطهاد المسيحيين.

---

(1) Bell, Op.Cit., P. 33

(2) Tertullianus, Apol. XI

(3) Bell, Op. Cit.,P. 33

(4) M. Grant, Op. Cit.,P. 307.

ἀλλήλους εἰς θεομαχίαν παρακεκινήκαντες δυνα-
μιν ἐπ᾽ἐμοὶ κατὰ τῶν χριστωνύμων ὀφθεῖσαν

وقد بلغ اضطهاد المسيحيين في عهد دقيوس حدا كبيرا واعتبر حكمه نكبة على المسيحيين (٢) . ففي قراره الذى يرجح انه صدر في ديسمبر من عام ٢٤٩م اصدر اوامره الى كل سكان الامبراطورية للتضحية للالهة الوثنية ، سواء كانوا مواطنين أم غير مواطنين (٣) ، ذكورا واناثا ، كبارا ام صغارا .

أى أن القرار كان شاملا للجميع كما أنه لم يصدر للمسيحيين فقط كما يرى جرانت (٤) او للمشكوك في انهم من المسيحيين . فمن بين الشهادات التى تم العثور عليها لدينا شهادة مقدمة من كاهنة وثنية للالة بتسوخوس (٥) ἱερίας πετεσούχου θεου تذكر انها امضت حياتها تضحى للالهة ، وانها طبقا للاوامر الصادرة في ذلك الوقت تقدم التضحيات وتسكب المشروبات لهذه الآلهة . ومن غير المعقول ان يشك المسئولون عن هذه التضحيات في أن هذه الكاهنة تدين بالمسيحية .

تعتبر الـ λιβελλους شهادة ادارية لاثبات الولاء والتضحية للالهة الوثنية تقدم في شكل طلب الى هيئة من الموظفين ، ثم بعد أداء التضحيات والطقوس اللازمة توقع هذه الهيئة أو أحد اعضائها على الطلب فتصبح شهادة مصدق عليها وتقدم عند اللزوم لاثبات وثنية حاملها . ولنتناول الآن احدى هذه الشهادات ثم نتبعها بالتعليق والتحليل .

---

(١) Zonaras, ii, 584, 20

(٢) مصطفى العبادى ، نفسه ، ص ٢٧٧ .

(٣) Knipfing, Op.Cit., P 351

(٤) Grant, Op.Cit.,P. 307

(٥) L. Mitteis and U. Wilcken, Grundzuge und Chrestomathie der papyruskunde, Berlin, 1912, I, 2, No. 152.

" الى الهيئة المختارة لمراقبة التضحيات بالمدينة ، من اوريليوس. ثيون ابن ثيودوروس ، امة بانتونوميس ، من نفس المدينة. لقد اعتدت التضحية وسكب المشروبات للالهة بدون انقطاع ، والآن ، في وجودكم ، وتنفيذا للقرار سكبت المشروبات وضحيت وتناولت من الاضحية المقدسة ، انا ومعي ابني اوريليوس ديوسكوروس وابنتي اوريليا لايس. ارجوكم ان تشهدوا بذلك بالتوقيع ادناه. العام الاول من الامبراطور قيصر جايوس مسيوس كوينتوس تراجانوس دقيوس يوسيبوس يوتوخوس اوغسطس ٢٠ بؤونة.

تبدأ الشهادة عادة كما يتضح مما تقدم بمخاطبة اللجنة المختارة للاشراف على التضحيات، Τοῖς ἐπὶ τῶν θυσίων ἡρεμηκόσιν

نفهم من ذلك انه قد اقيمت لجان وهيئات محلية في مدن وقرى مصر لاعداد ومراقبة وتنظيم عملية التضحيات. ويبدو أن عدد هذه اللجان كان يعتمد على حجم وثراء وأهمية المنطقة اداريا. ومن المتوقع ان تكون المجالس المحلية التي أنشأها سفيروس في مدن وقرى مصر قد خدمت في اعداد هذه اللجان، وتقديم الموظفين للمشاركة فيها. ولم تقتصر هذه اللجان على مصر فقط، بل كانت تؤدي عملها في جميع انحاء الامبراطورية الرومانية. وقد اعدتها الادارة بناء على التعليمات التي صدرت الى حكام الولايات.

بعد مخاطبة اللجنة يبدأ المتقدم بالطلب بتقديم نفسه ، ولم يكن من الضروري ان يلتزم كل فرد بتقديم شهادة خاصة تثبت وتثنيه ، فبعض الشهادات مثل الشهادة المذكورة كانت تتضمن اسماء عدد من الاشخاص واحيانا كانت تتضمن اسرة بأكملها ، ولايضاح ذلك نستعرض بعض الاسماء التي وردت في هذه الشهادات.

---

(1) P. Oxy. IV. 658.

(2) Cf. Pap. Hamb. 10; Pap. Rainer, 22; Wilcken, Chrest 124.

(2) Foucart, Les certificats de sacrifice pendant la persecution de Decius (250) in Journal des savants, 1908, P. 175.

(4) Knipfing, Op.Cit., P. 351

من اوريليا امونا ريون ، أنا وابنائى اوريليوس ديد وموس واوريليوس نوفيوس واوريليوس تاس.(١)

من اوريليوس جايون ، قدمت التضحيات ومعى زوجتى تاوس وامونيوس وامونيانوس ولداى ، وثيسكلا ابنتى .(٢)

من اوريليوس سوروس واخيه اوريليوس باسبيوس ومن ديمتريا وسرابياس زوجتيهما .(٣)

كانت الشهادة تكتب بواسط مقدمها نفسه أو بواسطة كاتب محترف اذا كان صاحبها لايعرف الكتابة . ففى احدى الشهادات وجدنا كاتبا يكتب عن سيدة تدعى اوريليا ديموس لانها تجهل الكتابة .(٤) وفى الطلب الذى تقدم به الاخوان المذكوران من قبل مع زوجتيهما ، كتب ايزيدوروس بدلا منهم لانهم لايعرفون الكتابة أيضا .

Ἰσιδώρος ἔγρα(ψα) ὑπ(ὲρ) αὐτ.ῶν ἀγρα(μμάτων)(٥)

فى بعض الأحيان كانت تضاف بعض المعلومات الى جانب اسم المضحى عن عمره والعلامات التى تميزه والوظيفة التى يشغلها . ففى احدى الشهادات يذكر الكاتب انه فى الثانية والسبعين من عمره ، وان به ندب فى حاجبه الايسر .(٦) وفى شهادة اخرى وجدنا صاحبها يذكر انه فى الثانية والثلاثين من العمر.(٧)

وقد جاء فى شهادة ثالثة ان مقدمها ويدعى اوريليوس يوبرود وكيوس كان اكسجتيس سابقا لمدينة الاسكندرية الشهيرة غير القابه الاخرى .

---

(1) Pap. Hamb. 2, 11. 2-7.
(2) P. Oxy. XII, 1464, 11. 9-11.
(3) R. Rainer, 22, 11. 3-5
(4) P. Rylands, 12, 1. 10.
(5) P. Rainer, 22. 1. 13.
(6) Wilcken, Chrest. 124, 11. 5-6.
(7) Pap. Hamb, 1, 1. 12.

(١) ἐξηγ(ησαμένου) τῆς λα(μπροτάτης) πόλ(εως)
τῶν Ἀλεξ(ανδρέων) κ(α)τ' ὡς χρη(ματίζει)
(٢)
وأنه يقيم في ذلك الوقت في ثيادلفيا

بعد ذلك يذكر المتقدم بالطلب انه طالما قدم التضحيات وسكب المشروبات من أجل الالهة وانه يؤدى هذه التضحيات مرة أخرى امام لجنة الموظفين حسب الاوامر وهو هنا يحاول اثبات وثنيته قبل صدور الاوامر وبعدها .

وفي نهاية الشهادة يوقع المسئولون ، وهم في الغالب عضو او عضوان من أعضاء اللجنة السابق ذكرها ، على أنهم شاهدوا صاحب الشهادة وهو يؤدى التضحيات للالهة اما في صيغة الفرد .
(٣)
Αὐρήλιος Εὔρος ἴδ[ον σε] او في صيغة الجمع
(٤)
Αὐρήλιοι Ἑρμῆνος Καλ[λ]ιμᾶς εἴδαμεν ὑμᾶς
وذلك حسب عدد المتقدمين للتضحية في الشهادة

ولكن ماذا كانت نتيجة قرار دقيوس ؟ وهل قام المسيحيون فعلا بتقديم التضحيات للالهة الوثنية؟
شكل قرار دقيوس خطرا كبيرا على المسيحيين . فالمسيحي اذا وقف امام الالهة الوثنية يقدم لها التضحيات اصبح مرتدا ، واذا رفض الامتثال الى ذلك الامر تعرض الى الوان من العذاب تنتهي باستشهاده . لذلك وجدنا البعض يفضل

---

(1) Ibid., 16, ll 5-6
(2) Ibid. ll 6-7
(3) Wilcken, Op. Cit., No. 124, l. 17.
(4) Pap. Wessely IV, 2, No. 1, ll 14-16

(٥) وعلى ذلك نرجح ان الشهادة الناقصة في بردية P.Oxy XII. 2990
تخص ايضا اكثر من شخص .

الهروب والنزوح الى اماكن بعيدة عن ايدى الاداريين مثل الواحات . كما وجدنا عددا غير قليل من ضعاف المسيحيين ارتدوا عن عقيدتهم بعضا من الوقت ادوا فيه التضحيات، خشية العقاب ، ثم مضوا يستغفرون .

ووجدنا آخرين يرفضون رفضا باتا الامتثال للاوامر والتضحية للالهة الوثنية ويتحملون فى سبيل ذلك أقسى الوان التعذيب . وكان يهون من عذابهم احساسهم بأنهم يحاكون المسيح نفسه وكبار شهداء المسيحية ، كما كان فى استشهاد اولئك المسيحيين امثلة للشجاعة والولاء للدين فاقيمت لهم بعد استشهادهم ضرائح (١) وقرها المسيحيون اكبر التوقير وكان لها اثرها فى تشجيع المخلصين من المسيحيين .

ومن بين الامثلة التي تصور ثبات المسيحيين على عقيدتهم ما ذكره يوسيبيوس عن بروكيبيوس الذى طلب منه احد المسئولين التضحية للالهة فرد بأنه ليس (٢) هناك الهة عديدة ولكن هناك فقط اله واحد خالق كل شئ .

وقد تقبل المسئول اجابته ولكنه امره بحرق البخور للامبراطور فرفض ورد عليه مستخدما كلمات هوميروس : (ليس من الخير ان يكون هناك سادة كثيرون فليكن (٣) واحدا فقط ملكا واحدا) فاعتبر المسئول فى ذلك اهانة للامبراطور ، واصدر (٤) الحكم عليه بالاعدام .

ويصور لنا يوسبيوس على لسان ديونسيوس اسقف الاسكندرية كيف كان المسيحيون يضربون بالعصى وتخرق اعينهم ، ثم يسحبون جرا فى الطرق الى احدى الضواحى (٥) حيث يرجمون بالحجارة او يحرقون حتى الموت . وقد استشهد خلال حكم دقيوس العديد من الاساقفة فى جميع انحاء الامبراطورية الرومانية أمثال هوريجن وفابيانوس

---

(1)Grant Op. cit., P. 307

(2) Eusebius, H.E. VIII

(3) II. ii. 204

(4) Salisb. & Matting. Op.Cit.,P. 11.

(5)Euseb, H.E. VI 41.

والاسكندر وبابيلاس (١) . ويذكر لكتانتوس ان المسيحيين لاقوا على ايدى دقيـــوس اقسى انواع المعاملة الصارمة والاضطهاد (٢) على الرغم من قصر فترة حكمه .

وقد استطاع عدد غير قليل من المسيحيين الافلات من التعذيب والاضطهـاد عن طريق شراء شهادات مزورة (٣) من الموظفين تثبت انهم قد أدوا التضحيات المطلوبة وانهم غير منتسبين للمسيحية . وقد عرف هؤلاء باسم Libellatici (٤) ولعلهم فعلوا ذلك لاحساسهم بأن خطيئة التزوير هى اخف بكثير من خطيئة الارتداد ذاتـــه . فقاموا بشراء هذه الشهادات حتى يخففوا عن ضمائرهم وزر الردة عن الديانـــــة المسيحية بالتضحية للالهة الوثنية . وقد تسبب ذلك فى خلق نزاع طويل بينهـــم وبين زملائهم من المسيحيين (٥) ادى الى قتل العديد منهم (٦) .

ولكن هل أدى قرار دقيوس وشهادات اختبار العقيدة الى قمع الديانـــــة المسيحية؟ نستطيع الاجابة على هذا التساؤل بأنه على الرغم من هذه الحملـــــة الواسعة من الاضطهادات التى أدت الى استشهاد الكثيرين فان الديانة المسيحية ظلت ثابتة راسخة بل لقد اصبحت مصر على سبيـــل المثال فى نهاية القرن الثالـــث دولة مسيحية الى حد كبير . وقد ساعدت هـــذه الاضطهادات ايضا على نشـــــر

---

(1) Euseb. H.E. VI. 39

(2) Lactantus, de Mortibus Persecutorum C-3, 4.

(3) Knipfing, Op.Cit., P. 358.

(4) E. Gibbon, the Decline and Fall of the Roman Empire Vol. ii. P. 113 n. 122.

(5) Bell. Op.Cit., P. 86.

(6) Knipfing, op . cit., 359.

تلك العقيدة. ولعل ذلك راجع الى سببين : أولهما هو اعجاب العديد من الوثنيين ببطولة الشهداء المسيحيين والسبب الثانى ان المسيحيين الذين فروا واختبئوا فى الواحات والمناطق النائية نشروا المسيحية فى هذه المناطق (١).

وعند وفاة دقيوس الذى قتل بعد عامين فقط من توليه الحكم (٢) توقفت اضطهادات المسيحيين ، وبدأ جاللينوس الامبراطور الجديد فى اتباع سياسة جديدة قائمة على التسامح معهم استمرت طوال ٤٠ عاما . وخلال هذه الفترة استطاع المسيحيون (٣) انشاء الكنائس وممارسة عباداتهم فى حرية كبيرة (٤).

---

(1) Bell, op.cit.,P. 87
(2) Euseb.. H.E. VII. 1,2
(3) Grant, Op.Cit.,308
(4) Gibbon 11, P. 114.